فريق مع محنة اللاجئين

فريق المدى قبل انطلاق رحلته باتجاه منفذ ربيعة الحدودي ،والتعرف من خلاله على أحوال اللاجئين السوريين هناك، وردت إليه العديد من رسائل الأقرباء والأصدقاء التي صبّت جميعها في خانة الحرص والحذر والخوف علينا من مخاطر الطريق لاسيما وأننا سنمر عبر محافظتي صلاح الدين ونينوى وللأسف يعدهما البعض إلى الآن من المحافظات الساخنة، لكننا كفريق آثرنا احترام تلك الآراء ولكن عدم الأخذ بها والانطلاق نحو غايتنا ومعرفة الحقيقة التي نريدها ميدانياً.

((الحلقة الرابعة))

□ دهوك / يوسف المحمداوي.. تصوير / محمود رؤوف

الكهرباء مقيم دائم في مخيماتهم

اللاجئون السوريون في دوميز حرية في العمل ومدارس لابنائهم

الفريق مكون مني ومن زميلي الرائع محمود، وأقول الرائع ليس لكونه مصورا فقط بل لكونه سائقا من الدرجة الأولى، فضلا عن كونه رفيق سفر وصديقا مخلصا بصحبته وعمله، وأقول السائق لأننا وجدنا جميع سائقي المؤسسة مشغولون بواجباتهم، فبادر مصورنا محمود أن يكون السائق، فضلا عن واجبه الآخر، وعمل له تخويل في عجلة المؤسسة التي خصصتها لنا الإدارة التي وفرت مشكورة بالإضافة لها كل ما يلزم لنجاح الرحلة.

لا وجود للاجئين في ربيعة

انطلق محمود باتجاه ضالتنا معبر ربيعة، ونحن في الطريق اتصل محمود بصديقه الإعلامي خالد الموصلي الذي اخبره بأنه لا يوجد في منفذ ربيعة أي لاجئ بعد ان سيطر الجيش السوري الحكومي على منفذ اليعربية المقابل لمنفذ ربيعة، ومن باب التأكد اتصلت بدائرة الهجرة والمهجرين في الحكومة العراقية فأيقنت بأنه لا وجود للاجئين هناك، وإنما جميعهم موجودون في منطقة الدوميز التابعة لقضاء سميل في محافظة دهوك.

التفت إلى محمود قائلا "الآن أصبحت عليك ثلاث محافظات لان هدفنا في دهوك وليس في ربيعة"، ضحك محمود وقال"بسيطة..الله المعين".

بدأت الرحلة... وفي الطريق ومراكز المدن وأطرافها حكايات جميلة وأخرى محزونة سنرويها لكم تباعا، لأننا آثرنا البدء من آخر متر في الرحلة ثم نعود لأول متر فيها لأهمية موضوع اللاجئين وتسارع الأحداث فيه حتى لا تبور بضاعة جهدنا.

سوء حظنا وحسن حظهم

بعد أن انهينا مشكلة "فيت بم" السيارة في سامراء بوساطة صديق لي من الحزب الشيوعي العراقي وهو علي عدنان، وقضينا ليلنا في فندق القلعة في باب جديد الموصل، كنا في الساعة التاسعة صباحا ننحرف في نهاية ناحية فايدة باتجاه اليسار، وبمسافة لا تبعد عن الشارع العام سوى مئات الأمتار، وجدنا سوريا هناك متمثلة بشيوخها وعجائزها، شبابها ، صباياه، وأطفالها.

دخلت على موظفي دائرة الهجرة والمهجرين ليسمحوا لي بإجراء حوارات وتصوير المخيم، لكنهم رفضوا ذلك إلا بموافقة من دائرتهم في دهوك.

اجتزنا سيطرة دهوك بطريقة سهلة لم نتوقعها بعد أن عرضنا عليهم هوياتنا الصحفية، ولكن من سوء حظنا وحسن حظ اللاجئين كان هناك وفد ألماني مع قافلة من الأدوية جعلنا ننتظر طويلا حتى نحصل على موافقة المدير هاتفيا بعد أن اتصل به احد أصدقاء محمود وهو الإعلامي سفين حميد الذي كان على اتصال دائم معنا طيلة أيام الرحلة.

ما بين القائم ودوميز

دخلنا المخيم ظافرين بموافقة السيد محمد عبد الله.. ليس هناك باب يمنع اللاجئين من الدخول والخروج، ينعمون بحرية الحركة وكذلك العمل، وهنا تذكرت أحوال اللاجئين في مدينة القائم، وكيف مارست اشد حالات التوسل في سبيل مقابلتهم، بعد أن عجز حتى أقرباؤهم عن الوصول إليهم وكان لسان حالهم في مراكز احتجازهم يقول ما قاله أبي نؤاس للخليفة أثناء حبسه وهم يخاطبون السيد المالكي وغيره من المسؤولين الذين كانوا لاجئين في سوريا، والآن سلاطين في العراق:

قل للخليفة إنني
حتى أراك بكل باس
من ذا يكون أبا نواسك
إذا حبست أبا نواس!؟
أقصيته، ونسيته
ولعهده بك غير ناس
قد كنت آمل غير ذا
لو كنت تنصف في القياس
إن أنت لم ترفع له
رأسا ..فديت ..فنصف رأس

النسب وحسن الضيافة

نعم حالهم في القائم هو اشد من حبس أبي نؤاس في سجن الخليفة العباسي، أما هنا فكما يقول شاعرنا أبي نؤاس:

الورد يضحك، والأوتار تصطخب
...والناي يندب أحيانا، وينتحب

والقوم إخوان صدق بينهم نسب.. من المودة ما يرقى له نسب.

نعم، وأقولها بكل صدق إنه لكون اغلبهم من القومية الكردية، فقد كانت السبب الرئيسي في تقلص رقعة معاناتهم، فهم بين أحضان إخوتهم في الإقليم، على العكس من العرب الحكومة وليس الشعب في العراق بالتعامل مع اللاجئين السوريين العرب في قضاء القائم، ولله في عربه شؤون وشجون.

كهرباء المالكية والمالكي

اللاجئ عبد الهادي إبراهيم روائي وكاتب ومن رواياته المطبوعة "كالخرنوب لا يعرف اليأس"، وفي طريقها للطبع على حساب اتحاد أدباء وكتاب دهوك روايته "نساء معروضة للبيع"، تمنى أن نسميه بـ"أبو سيفان" الذي وصل إلى مخيم الدوميز قبل شهرين يقول: أنا من منطقة المالكية في سوريا كنت أمارس مهنتي هناك كعامل سيراميك، وعن أسباب نزوحه يقول: أصبح توقف الأعمال ظاهرة شائعة في سوريا نتيجة أعمال العنف، وهناك ارتفاع غير مسبوق بالأسعار، فضلا عن غياب الخدمات فمثلا الكهرباء تأتي ٦ ساعات وتقطع لمدة ٦ ساعات أي أنها تأتي ١٢ ساعة في اليوم، هنا لم احتمل صبرا فالتفت صوب بغداد لأقول لسلاطينها، في قرية تسمى المالكية وعلى الحدود وتسكنها عوائل كردية يشتهر بشار الأسد كما كان أبوه بمعاداتهم، وتأتيها الكهرباء ١٢ ساعة في اليوم في ظل ثورة شعبية عارمة، وبغداد العاصمة وبموازنات لو أعطي ٥٪ منها لسورية لكانت في حال أفضل مما هو عليه ، ولم تحظَ مناطقها وبعد ٩ سنوات من التغيير بنصف ما تحظى به المالكية التي تعد من أرياف سورية الحدودية من نعمة الكهرباء، بالتأكيد العديد من سكنة بيوت الصفيح يتمنون أن يكونوا في نعمة المالكي - عفوا- المالكية وهم يتقدون بلهيب أب في بيوت من المعيب أن تدعى بيوتاً، والسؤال الكبير وغير المجدي هل تحملون ضمائر؟ لا اعتقد والدليل المالكية.

الفرد الواحد بـ٥٠٠ دولار

قطعت رحلة استيائي وتساؤلي وسألت أبو سيفان عن الكهرباء في المخيم فقال "لا مستمرة قد تقطع ربع ساعة في اليوم". الله اكبر..الله اكبر عليكم..يا أيهم..وشلال..ووحيد .. وعفتان.. ومن أنار طريق الفساد في وجوهكم ليحل علينا الظلام.

يضيف السيراميكي والأديب بأنه دخل العراق مع عائلته المكونة من ٦ أفراد عن طريق قرية سحيلة العراقية، موضحا بأن هناك سماسرة متخصصين بتهريب العوائل، وسعر التهريب للشخص الواحد ٥٠٠ دولار، مبينا بأنه وصل الحدود العراقية بعد أربع ساعات من السير على الأقدام، وبعد الوصول إلى منطقة سحيلة تم الوصول الى المخيم بواسطة سيارة أجرة كلفتنا ٨٠ ألف دينار كما يقول.

العمل داخل الإقليم

كان في استقبالهم بالمخيم دائرة الهجرة والمهجرين، فضلا عن المفوضية السامية للاجئين، وفور وصولنا قدمت لنا جميع أدوات الطبخ وكذلك المواد المنزلية التي نحتاجها، مثل أدوات المطبخ والثلاجة والمبردة، فضلا عن الطعام الجاف والمطبوخ.

وبشأن حركته داخل المخيم يؤكد المالكي اللاجئ وليس الحاكم، انه يعمل شأنه شأن اللاجئين الآخرين في المخيم في مناطق الإقليم، فالبعض يعمل في مدينة زاويته وآخرون في زاخو، وانه يتقاضى ٣٥ ألف دينار يومياً عن عمله الخاص في السيراميك.

سياسة فرّق تسد

يقول صاحبنا إبراهيم: إن الأوضاع في سوريا كما تصل إلينا الإخبار هذه الأيام تسير من سيئ إلى أسوأ، وإن النظام السوري اتبع سياسة جديدة وهي خلق فراغ أمني داخل مناطق معينة، ويقوم بدعم جهات معينة ضد جهات أخرى، كأن يستخدم العرب ضد الكرد أو ضد المسيحيين من خلال عصابات منظمة ويقوم بتوجيه التهم للمعارضة، وهذه اللعبة معروفة وموروثة بالأخص في المناطق الكردية.

تحدثنا معه بشأن مستقبل الأولاد خاصة الطلبة منهم، قال أبو سيفان: إن حكومة الإقليم خصصت مدرسة خاصة تسمى "قامشلو" خاصة لطلبة عوائل اللاجئين، وهي تشمل الابتدائية والمتوسطة، ومع عدم وجود فصل دراسي الآن هناك دورات تقوية للطلبة من قبل مدرسين ومعلمين اغلبهم من اللاجئين ويتقاضون رواتب مجزية تقوم بدفعها لهم المنظمة السامية لإغاثة اللاجئين، وعن طلبة الإعدادية والجامعية يقول إن الأوامر تقول انه مع بداية الموسم الدراسي الجديد ستخصص باصات لهذه الشريحة من الطلبة ليكملوا دراستهم في جامعات وإعداديات الإقليم.

عائلة أبو فاطمة

أثناء حديثه معي سرحت باتجاه محافظة ميسان وبالتحديد في قضاء المجر الكبير عند إحدى عائلات ضحايا النظامين السابق واللاحق، وهي عائلة المبتلى أبو فاطمة الذي قارع النظام السابق بصوت الرصاص وليس بصوت التصريحات الإعلامية عام ١٩٩١، واضطر بعد قمع الانتفاضة الى الهروب بعائلته مع ٢١٢ عائلة باتجاه الحدود الإيرانية العراقية، تاركين خلفهم كل ما يملكون خوفا من بطش النظام، وبقوا هناك لحين سقوط النظام، وظنوا أنهم سيحظون بثمن الجهاد بعد العودة، وكان الثمن مخزنا من الصفيح مهمل تابع لوزارة الزراعة في قضاء المجر الكبير يفتقد أبسط الخدمات الإنسانية، هؤلاء من حملوا السلاح حقيقة وتحملوا ذل الغربة، هذا ثوابهم وثواب من كانوا يقضون أيام معارضتهم تحت المكيفات في فنادق الخمس نجوم، المناصب والمكاسب، وأنا متيقن لو عرضت الحال التي يعيشها اللاجئ في مخيم الدوميز على أبو فاطمة ومن هو على شاكلته في المعاناة لوافق على الفور بعد أن أصبح لاجئا بائسا وهو في وطنه.

المنشقون والجيش الحر

يقول الروائي انه يتمنى أن تتحسن الأوضاع حتى يعود إلى الوطن، لأنه وكما يقول يخشى على والده ووالته اللذين رفضا المجيء وبقيا في منطقة رميلان ، ونحن نخشى أن تسعى الدول الغربية وأميركا الى تدمير مؤسسات الدولة في سوريا كما فعلوا بالعراق، وتمزيق وحدة الشعب السوري كما فعلوا بالفتنة الطائفية في العراق بحسب قوله.

بعد أن ودعنا صاحبنا الروائي وجدنا أنفسنا وسط مجموعة من المنشقين عن الجيش النظامي، وسط طوابير للعائلات الجديدة التي توزع عليها الخيام وفرش النوم وغيرها من الأدوات المنزلية.

سألت احد الشباب الذي قال بأنه منشق من الجيش هل كان مطوعا أم مكلفا قبل انشقاقه؟ فاستغرب من سؤالي وهو يرد عليّ قائلا لا يجوز في الجيش السوري أن يكون المطوع كرديا، فقط مشمول بالخدمة الإلزامية التي أصبحت الآن ١٨ شهرا بعد أن كانت ٣٦ شهرا في السابق، ويضيف لقمان بأنه كان يعمل مع الجيش الحر في الليل ويعود عند الصباح للبيت، وعندما سألته لماذا لم يبق ليحارب مع الجيش الحر، أكد لقمان ان أهداف الجيش اختلفت، ولم تعد بالصورة التي نتمناها وحاربنا معه من أجلها بحسب قول لقمان .

■ *بعد غدٍ الحلقة الثانية*

المحرر بين المخيمات

توزيع المعونات

هناك سماسرة متخصصون بتهريب العوائل، ومبلغ التهريب للشخص الواحد ٥٠٠ دولار

النظام السوري اتبع سياسة جديدة وهي خلق فراغ أمني داخل مناطق معينة، ويقوم بدعم جهات معينة ضد جهات أخرى

كاكه لقمان

عبد الهادي ابراهيم

لكون اغلبهم من القومية الكردية، فقد كانت السبب الرئيسي في تقلص رقعة معاناتهم، فهم بين أحضان إخوتهم في الإقليم

شباب لاجئون منشقون عن الجيش